

النقد الأدبي التطبيقي بين الأكاديمية والتجديد الإبداعي

د. ريمه الخاني

دمشق - سوريا

ملخص:

يتكلم البحث عن الإبداع في عالم النقد، يبدأ بتعريف الكلمة معجمياً، ثم نظرية النقد الكبار عن النقد ورأيهم فيه، وهذا يعبر عن مذهبهم وطريقتهم الإبداعية، يتم من خلاله وضع تعريف مبدئي للنقد، يتم من خلاله رصد طريقة التفكير العربية من خلال النقد، كيف يرى النقد عالم النقد، ثم يتم في آخر البحث عرض لأهم ما جاء في نموذجين من كتب النقد، مفنديين ما فيها من ميزات وسينات، تفصيلية، للتوضيح التطبيقي ولفت النظر على أنه لا يوجد عمل كامل، لكنها اجتهادات تحمل في طياتها إبداعاً حقيقياً.

مفاصل البحث:

- 1- النقد معجمياً: وفيه معنى كلمة نقد معجمياً.
- 2- متن البحث: أقوال النقد الكبار أمثال مارون عبود وغيره، ومذهبهم في النقد وكيف ينقدون، وجولة في عقول النقد.
- 3- إضافات تطبيقية على النقد.
- أ- كتاب النقد الأدبي لأحمد أمين.
- ب- عن " النقد الثقافي للناقد الكبير " عبدالله الغدامي
- 4- خاتمة

Abstract:

Applied literary criticism between academic and creative renewal:

1- Monetary meaning in the lexicon

2- Context of the research

Critical theorists like: maroon Abboud and others, their theories and how they apply it.

3- Practical additions to the criticism.

Ahmed Amin:

"Abdullah Algdami "

4- Conclusion

1- النقد معجميا:

نقد (لسان العرب)

النقد: خلاف النسيئة.

والنقد والتنقاد: تمييز الدراهم وإخراج الزيف منه.

وناقدت فلانا إذا ناقشته في الأمر.

والنقدة ضربة الصبي جورة بإصبعه إذا ضرب.⁽¹⁾

2- متن البحث:

لا يهنا للقارئ أو الباحث الناجح مطالعة أمر ما، دون تحليله وتفحصه لإخراج مكنونه الخفي بطريقة ما.

يقول الناقد الكبير مارون عبود بهذا الصدد: " صرت أشبه بالطاهي الذي يفكر دائما في أن يعدّ أشهى الطعام وأدسمه، وهو يتوقع أن يسمع الاستحسان ممن يطبخ لهم فيشجع ويتمادي، أو الاستهجان فيفتش عن طبخة غيرها.⁽²⁾

للإبداع عدة قنوات تخرج فيها عصارة الفكر وتنضج، ونكاد نجزم بأن الإبداع يمر من قناة النقد بطريقة ما⁽³⁾، وهناك تبادل ما بين الطريقتين مؤكّد، فالمؤلف كي يقدم ما يمكن تقديمه يحتاج إلى نظرة فاحصة: واقعية وأدبية، فبالواقعية يستقي منه مادته الأولى، أما الثانية فينهل منها البناء وطريقة التقديم الفنية منها والإنشائية، وعن طريق الأمرين الهامين يمكننا أن نتعرف على قدرته عميقة كانت أم سطحية، وهل تنم عن تجربة طويلة، عمل جاد، إبداع ناضج أو في الطريق، ويتكاتف الأدب مع النقد ويرتبطان برابط قوي:

وهذا ما بيّنه عليه الدكتور عبد السلام المسدي: " إن المكونات الثلاثة كالأعمدة التي يستوي عليها معمار التواصل الشعري الشاعر والقارئ والناقد صلات تتوزع ثنائيات:

1- ثنائية الشاعر والناقد: في تاريخ الرابطة الجامعة بينهما ذهابا وإيابا تقلبات مترامية، فإذا بسلطة النص الشعري تسلم عنانها لسلطة النص النقدي.

- 2- تخصّ الشاعر والقارئ: تنبني على لبس مكين فالشعر من فنون القول، والقارئ مفهوم متموج الدلالة.
- 3- ثنائية الناقد والقارئ: وهي بالغة الخفاء بحكم ما آل إليه الشعر من وظائف الناقد أنه يبسر الأدب للقارئ، ويعينه على الإحساس بجمالياته وعلى الإمام بمدركاته، وهي الوظيفة التي جعلت الناقد أقرب إلى المعلم⁽⁴⁾.
- وهذا إن دلّ فهو يدلّ على ترابط قوي ومتين بين النقد والأدب وقناة جارية بغزارة، ويقول الدكتور أحمد زياد محبك مؤيدا: (النقد والأدب معاً عبارة عن نشاط عقلي إبداعي، وفي بعض الحالات يغير النقد في الذوق والقيم والمعايير ويقود الأدب إلى صنع تغيير أيضاً، فكثير من النظريات النقدية كانت مبنية على نتاج أدبي، من مثل نظرية التراجميات عند "أرسطو"، فقد بناها على الإغريقية منها،... ولكن كثيراً من النظريات والمفاهيم النقدية أيضاً قادت إلى إبداع نتاج أدبي)⁽⁵⁾.
- وهذا ما بيّنه الدكتور المسدي قائلاً: (الناقد ينتمي إلى الأدب انتماء ضرورة، بينما ينتمي الأديب إلى النقد انتماء صدفة أو انتماء اختيار، في الدائرة الأولى يتشكّل الحسّ النقدي وفي الثانية العبور بين الجائرتين ذهاباً وإياباً، وهو الذي يصنع اللحظة النقدية)⁽⁶⁾.
- ويكمل الدكتور المسدي: (إنّ النقد يستنهضك إلى التبصر وراء الظاهرة الأدبية ووراء العملية النقدية في الوقت نفسه من متشابكات يتعاون كل من الأدب والنقد على إخفائها، فهو بذلك يستحثك أن تهتك الحجب والأستار فتنفذ بعين التبصر وروح الاعتبار إلى حيث يغيب الآخرين)⁽⁷⁾.
- ويعرف الأستاذ "جبور عبد النور" النقد بأنّه: (فن تحليل الآثار الأدبية، والتعرف إلى العناصر المكونة لها لالتهاء إلى إصدار حكم يتعلق بمبلغها من الإجابة)⁽⁸⁾.
- يقول الدكتور عبد السلام المسدي في تعريف النقد: (هو أن تكون صاحب حق شرعي في أن تسكن داخل بيت الأدب فتختار أن تخرج منه لتقيم لنفسك بيتاً يحاذيه، فيشارفه، وتطل منه عليه دافعا به إلى موالجته، فمسكنك الجديد هو بيت النقد)⁽⁹⁾.
- ويعرّف الناقد الفرنسي: "رولان بارت" وهو أشهر النقاد الفرنسيين النقد قائلاً: (النقد هو خطاب حول خطاب، أو هو لغة واصفة).

ويقول حول ذلك الأستاذ " محمد فؤاد القيق " : هو نص مستقل بذاته، وعلى اتساق كامل بالكاتب الحقيقي للنص.⁽¹⁰⁾

ويشبه الكاتب النقد والقصيدة بأنهما صفتان لنهر واحد...⁽¹¹⁾

لكن النقد لم يعد نقدا للنقد فقط، بل بات مدرسة بذاتها، تحتاج ذوقا ودراية وعمق تجربة ومعرفة بأساسياته ومفاهيمه المفصلية، يقول الدكتور أحمد حول ذلك: (لقد تجاوز مفهوم النقد الأدبي مفهوم الانتقاد ومفهوم الحكم على العمل الأدبي، إلى تذوقه والإحساس الجمالي به، لكن من الصعب القول إنه تحول لعلم فلا بد له من الذوق الشخصي، ولكنه الذوق المثقف المدرب..⁽¹²⁾).

هنا يفتح لنا مفهوم آخر وهو أن العلم لم يصبح علما قائما بذاته، فهو مؤسسة اجتماعية - كما ذكر الدكتور - كاللغة والأدب ومستويات تميز فهناك النقد الدارس والصحفي والمبتكر أن نفرق بين أنواعه ليرز هنا مفهوم الإبداع بأحلى صورته.

فالأول يتبع منهجا محددا واضحا، أو عدة منها، أما المعلق الصحفي فهو يقدم مراجعة لعمل أدبي يتسم بالإدهاش ولا يلتزم منهجا محددا، يكشف عن نقاط جديدة لم تبد للمتابع جيدا، وي طرح رؤية خاصة، ومن الممكن أن يتحول المعلق الصحفي لدارس، من خلال تراكم الممارسة النقدية، وهذا أمر طبيعي هنا.

أما الناقد المبدع، فهو ينتقي ويصطفي لا شعوريا الجمل والألفاظ والأفكار الخ... ؛ فيقدم جديدا يُدرّس، ويمارس جهدا غير قليل من النقد.

فالنقد حاجة إنسانية فردية، وهي ظاهرة اجتماعية يمارسها بشكل من الأشكال كل فرد، ولا يخلو منها مجتمع.

نؤيد ما قاله الدكتور سابقا ونضيف: أن النقد حسب المعطيات التي وردت يحتاج حرية في ممارسته وهو من شروط نجاحه: منطقية، صدق في الجهد، وهدف نبيل ليكون محترما أصلا.

ورغم كل ما سلف لا يرى الدكتور المسدي أنه في الأصل علما بذاته، ولا منهجا أصيلا، إنما هو علم بغيره فيقول بهذا الصدد: (إن النقد معرفة ويطمح أن يكون علما، ولكنه علم بغيره وليس علما بنفسه، والسبب أن موضوعه الذي هو القول الأدبي ليس معطى جاهزا من معطيات الطبيعة، وليس واقعة عارضة من واقعات الوجود، وإنما هو نفسه شاهد على فعل إبداعي يألّفه الإنسان ولا يؤلّفه أي إنسان كما اتفق⁽¹³⁾).

لكن للنقد خصيصة يمتاز بها من سائر المعارف، هي التي تعوض له هذا الخسران الظاهر إذا ما قيس إلى غيره، ذلك أن النقد يتمتع بصلاحية الاختراق، شأنه شأن العلم اللغوي؛ فكلاهما قادر على أن يلج إلى كل العلوم الأخرى من خلال التأمل في بنية خطاباتها، أمّا المعارف التي لها استطاعة على اختراق حدود موضوعاتها نحو حدود غيرها فمحدودة، والتي منها مخول لها أن تفتحم مجال النقد فأقل عدداً⁽¹⁴⁾.

وهنا يطيب لنا القول إتماماً وإضافة، إن مَنْ مارسَ من الأدباء أو الكتّاب نقداً ذاتياً موضوعياً فهو يستحق أن يكون كاتباً نموذجياً بشكل عام، تقول الناقدة "د. ماجدة حمودة" حول تلك الفكرة: (لقد رفضت الرواية الأولى لغابرييل غارسيا ماركيز" وهي "عاصفة الأوراق" لكنه لم يئس بل وجدناه يعيد النظر فيها من جديد، وكان دور تشجيع أصدقائه واضحاً في تعزيز ثقته بنفسه، إن التصويبات الكثيرة التي يجريها "ماركيز" على إبداعه تُعدّ نوعاً من النقد الذاتي الذي يمارسه الكاتب نتيجة وعي نقدي يمتلكه بفضل الثقافة والخبرة، وربما كانت بداية كل كاتب هي العناية بالتقنيات عموماً والفنيات، لكن "ماركيز" عدّها متاهة دائرية بلا مدخل ولا مخرج عندما تخلو من العناية بالمضمون كذلك).⁽¹⁵⁾

هي مسؤولية الكلمة، وهاجس رسالي، وهي دليل واضح على فهمه العميق للجنس الأدبي الذي يكتب فيه، حيث لا يعترف هنا بالركود والكسل.

يحضرنا الآن قول الصحفي السوري إسماعيل مروة عن النقد: (أنا شخصياً أمج صفة ناقد؛ لأن النقد هو عملية إبداعية على عملية إبداعية، وأظن أنني لا أستحق هذا اللقب، وقد أشار إلى أسلوبه في الدراسة صديقي الرائع الدكتور رياض عصمت).⁽¹⁶⁾

ماذا نفيد مما ورد؟ هو تعريف للنقد من منظور عملي بحث نعم هو عمل إبداعي على عمل إبداعي وهذا يجعله محط منهجة ربما أو تنظيم قوي يرتب ملفاته ويضع النقاط على الحروف، هو فن قائم بذاته تماماً.

ولو سألنا في ختام مبحثنا هذا لماذا يشكو جمهور القراء والكتاب من قصور مصداقية النقد؟ لقلنا إنها تتبع منظومة كاملة من طريقة التفكير والفكر العربي عامة مازالت تؤثر على السلوكيات عامة والمخرجات الفكرية يمكننا حصرها كالتالي:

إن أبرز خصائص فكرنا العربي المعاصر ما يلي:

- تحلّل فكرنا العربي المعاصر من مكارم الأخلاق وأهمها السماحة والتسامح.

- سلطان الأثرة الفكرية والثقافية وتمجيد الذات ومدحها.
 - سيطرة منطق الإقصاء الفكري وغياب الحوار البناء.
 - طغيان اللفظية والعموم والإبهام على حساب الدقة والضبط والإحكام.
 - محدودية أفق الموضوعية والحياد.
 - ضيق هامش المعقولية وغلبة التسرع لا التأني والروية.
 - الموقف السلبي من الأنا والغير في عالمنا العربي ومن الآخر الأجنبي.
 - التعصب للماضي وضيق الصدر بالنقد.
 - الإيمان المطلق بنظرية التآمر.
 - التيه الفكري والثقافي.
 - طغيان الثقافة الوظيفية.
 - تمجيد الزعامة الفردية.
 - الاتجاه نحو المحلية الضيقة لا نحو أفق الإنسانية الرحب.
 - تغيب فيه الحرية والأصالة ويغيب فيه الإبداع⁽¹⁷⁾.
- ويمكننا إضافة المزاجية النقدية، والتي تتعلق بالذاتية النقدية، وارتباطها بما ترسب في نفس الناقد عن صاحب النص، ولو انطباعيا دون احتكاك شخصي⁽¹⁸⁾.
- ويقول الدكتور "بوبكر جيلالي" عن التفكير العربي المعاصر: (إن هذه المميزات لفكرنا العربي المعاصر جعلته يفتقر إلى المعقولية المطلوبة وإلى مقومات الروح العلمية اللازمة، وإلى الشروط المنهجية التنظيمية والأخلاقية والأدبية الضرورية، وإلى الرؤية الفكرية والفلسفية التي تدفع به في اتجاه الإبداع، الأمر الذي جعله يبلغ التخلف في أوجه، ولا سبيل لفكرنا العربي المعاصر الخروج من الانحطاط إلا إذا تحلل مما هو عليه من عيوب ويأخذ بالبدائل المتاحة للوصول إلى المأمول⁽¹⁹⁾).
- وكنا قد سألنا الدكتور الجزائري جيلالي بوبكر عن البدائل فقال: (أما بخصوص البدائل أو المنجيات مما هو عليه الفكر العربي المعاصر من مرذولات، تتعلق بمبادئ وقواعد عقلية منطقية علمية ونفسية ومنهجية وأخلاقية واجتماعية... إلخ نوردتها فيما يلي:
- إعمال العقل بدل العاطفة.
 - التحلي بمكارم الأخلاق والسماحة الفكرية.

- التصدي للذات عجباً أو كبراً أو مدحاً أو تمجيداً.
 - المراهنة على الإمكانيات المتاحة لا المتخيلة.
 - اجتناب اللفظية والاتجاه صوب البراغمية والعملية.
 - الالتزام بالموضوعية.
 - التحلل التام من التعصب بمختلف أشكاله ودرجاته.
 - ضبط تصوّر الأنا والآخر محلياً وإنسانياً على مقاييس علمية موضوعية.
 - بناء الرأي في أي قضية على العقل والحجة والاستدلال لا غير.
 - الخروج من قوقعة الماضي والحياة في العصر.
 - امتلاك مهارة النقد البناء واستخدامها باستمرار.
 - تمجيد المبدأ والممارسة لا الفرد.
 - اجتناب الإيمان المطلق بالمؤامرة أو بفشل التراث.
 - تقديم الرأي أو الاتجاه إلى جانب غيره إثراء لا إقصاء.
 - تجاوز ثقافة الوظيفة وفكر القوت إلى الثقافة للثقافة.
 - الصرامة الفكرية في المواقف بين التراث والوافد لا تمييعها بالتلفيق والوسطية.
 - القفز على محلية الفكر وخوض قضايا الإنسانية في أفقها الواسع.
 - استثمار تاريخ الأفكار والحضارات والثقافات وراهن العصر وتجاربه مدنيا وحضارياً.
 - استثمار كل الطاقات البشرية والمادية المتاحة في اتجاه تفكير مؤسّس وبناء.
 - التقيّد بكل ما هو عقلاني ومنطقي وعلمي وتقني ومنهجي وفلسفي ونفساني وبيداغوجي واجتماعي وغيره في خدمة الفكر وتطويره⁽²⁰⁾.
- ولعل افتقارنا عموماً للعمق النقدي نابع من عدة أسباب منها، عدم امتلاك الناقد لأدواته أو عدم إتقانه لتطبيقها على أكمل وجه، فيقدم ويؤخر ويولي لعنصر نقدي أهمية أكثر من غيره، وربما اعتماده على معتقده الشخصي وانطلاق مساره النقدي منها ظلماً عملياً، فالواجب أن يرى بعيني الناقد ويمزجها بتقديره وتقييمه، لمزيد من الموضوعية والإنصاف.

إضافات عملية من خلال متابعة كتب النقد:

1- كتاب النقد الأدبي لأحمد أمين:

حقيقة إن العطاء نصف الإنجاز، فقد تلقيت دعوة من طالب ماجستير في كلية الآداب للغة العربية، لمؤازرته في كيفية البحث والعمل في رسالته (وحقيقة وجدت ثغرة منهجية في متابعة الطالب في الجامعات)، فما كان مني إلا أن لبّيت طلبه وهو المشاركة في نقاش كتاب نقدي للشروع في العمل، لممارسة فن النقد والاقتباس بتركيز. وقد بحثنا طويلاً عبر النت عن كتب هامة، لكن كثيراً من كتب النقد لم يجدها الطالب ككتاب الكتروني، لكن من محاسن الصدق أن مكتبتي الالكترونية الخاصة في الحاسب، فيها بعض كتب جيدة والحمد لله، منها كتاب: النقد لأحمد أمين وهو كتاب لافت شرعت بقراءته وترك بعض إسقاطات عنه.

ومما لفت نظري فيه كتابته في المقدمة عن كيفية ولوجه لتلك التجربة الكتابية بالتفصيل، ميزات ومثالب، وهذا قلما يفعله النقاد والباحثون، اللهم إلا منظمي الفكر مثله.

بدأ مقدمته بما معناه: هناك محوران هامين للنقاش هنا حول هذا الكتاب: الشكلائية للكتاب: وهي اللغة المناسبة التي كُتِبَ بها الكتاب، والأسلوب اللافت البسيط والجزل. والمادة والمحتوى والمضامين، وهل أضاف جديداً؟.... ومدى مصداقية وصدق ما قدّمه.

يذكر كيف قرأ كُتِبَ النقد العربية وقارنها بالغربية، ووجد التنظيم الفكري في الكتب الثانية، فعالج النقد العربي معالجة غربية منظمة، واستفاد من مطالعته وقد كان اطلع على أمهات الكتب منها: طبقات الشعراء لابن سلام، طبقات الشعر لابن قتيبة، والصناعتين لأبي هلال العسكري، ونقد الشعر ونقد النثر لابن قدامة، والمثل السائر لابن الأثير، والموازنة بين البحري وأبي تمام للآمدي، والوساطة بين المتنبي وخصومه للجرجاني، وهي كتب مرجعية هامة لكل الباحثين في النقد والأدب العربي. وقد أفاد من كتاب محمد النويهي في تاريخ النقد الغربي وترجم بعضها، ويعترف أنه قصّر في عمله من حيث اعتمد على ما قاله النقاد الغربيون من غير الرجوع لأصول

كتبهم لاستعصاء في معربة اللغة وصعوبة الحصول على الكتب، موظفا هذا العمل لاتخاذ رأي خاص منفرد.

وكان عليه لفت النظر أثناء سرد الكتاب للمراجع المستعان بها، خاصة شرح أصول كلمة نقد.

فكان القسم الأول متعلقاً بعناصر الأدب⁽²¹⁾.

2- عن " النقد الثقافي للناقد الكبير " عبد الله الغدامي:

يُعدّ كتاب " النقد الثقافي للناقد الكبير " عبد الله الغدامي " مهمة غير يسيرة للمتعمق والباحث التفصيلي، ولعلنا لم نجد دراسة متأنية وتفصيلية للكتاب الذي أمسك برؤوس الفلسفة النقدية فوق النخبوية، ولعلّ عمق المعرفة لدى تلك القامة السامقة بادية للعيان في تلافيف الكتاب ولكن يبقى السؤال المطروح هنا حول يتفرع على عدة محاور:

1- ماذا كان يريد أن يقول لنا؟

2- المستوى الرفيع من البحث الذي اتخذه.

أمّا الأول فينحصر في عدة محاور:

ثقافة الهيمنة أو الحوار أو المعارضة، وهي المسيطرة على عالم الثقافة.

3- الفرق بين الثقافة المؤسساتية والحرّة.

4- أدبية الأدب والأركان الأساسية في النص الأدبي النسقي. (كان هذا حتى الصفحة 64).

ولعل هذا غنى فكري وبحث غير مسبوق ولا مطروق ولكن هناك إغراق في المصطلحية، والفلسفة التفسيرية، رغم استعانتة بأقوال مفكرين كبار عالميين، ولعلّ رأي الأستاذ "محمد واصف الحكيم" لدى مطالعته لشذرات منه، يدعوه للقول: إن الكتاب فوق النخبوي؛ لأن من ليس لديه رصيد قرائي سابق لن يفهم مراد المؤلف. وعلى هذا فقد انتقى المؤلف جمهوره وقرأه.

في مجال النقلة الاصطلاحية وقد قدم مصطلحات مركبة، ليست أصيلة بقدر ماهي اصطلاح على اصطلاح، بما يعني أنه يمكننا أن نضع أبسط من تلك لسهولة التداول. يقول: تشمل النقلة الاصطلاحية (ص 63):

أ- عناصر الرسالة (الوظيفة النسقية)

ب- المجاز (المجاز الكلي).

ج- التورية الثقافية.

د- نوع الدلالة.

هـ - الجملة النوعية.

و - المؤلف المزدوج.

ومن خلال الإسقاطات عليها سنقدم وجهة نظرنا:

في العنصر الأول: يذكر رومان جاكوبسون، ولعل ذكر النظريات الغربية أدت إلى تقديم الفكرة وشرحها مركبة، وهو صاحبة أدبية الأدب، فلماذا لا نقول: خصوصية الأدب (براجع كتابنا: دراسة في خصوصية الإبداع الأدبي).

وكذا فيما قال بعدها شارحا: ننظر للنص بوصفه حادثة ثقافية، وليس مجتلى أدبيا.

لماذا هذا الدوران على المعنى؟ هل هو وليد الترجمة؟

في النقلة ب: يقول بأن المجاز من عوارض الألفاظ، هو يجعل الاستعمال فعلاً عمومياً جمعياً وليس فعلاً فردياً، نعم ويكمل: وهذا يتطلب منا أن نجعل الاستعمال أصلاً نظرياً ومفهوماً: هل يعني أنه يسمح للألفاظ بفرض وظيفتها؟ أتساءل. ويقول (ص 69): مفهوم المجاز له قدرة فائقة في كشف وتسمية التحولات الدلالية، على مستوى المفردة والجملة، فإن توسع المفهوم سيساعدنا على كشف الازدواج الدلالي الأخطر، ذلك الازدواج الذي يتلبس الخطاب الثقافي ببعده الكلي الجمعي. أليس فكرة مثل هذه يمكننا تقديمها بتوضيحين هامين: أن يكون للجملة أكثر من معنى وهو المنهج الأدبي المفتوح إضافة لأهمية الأمثلة التطبيقية لكل فكرة على بساطتها لو جردناها من مصطلحاتها؟ أم هي المهارة المصطلحية ليركض القارئ وراء المؤلف في فك شفرة الفكرة؟

ج- التورية الثقافية:

نعم هي منجز بلاغي ولكن يقول بناء عليه: في النقد الثقافي لم نعد معيّنين بما هو في الوعي اللغوي وإنما نحن معنيون بالمضمرات النسقية وهي مضمرات لا تعين المصطلحات البلاغية!!! هل يعني أن لا علاقة للمعنى بالبلاغة؟

د - الدلالة النسقية:

يُميّز هنا ناقدنا الكبير ما بين دلالة صريحة ودلالة ضمنية، وهذا من أعمدة التعبير الأدبي ولكن أليس مفهوم كهذا يتقاطع مع السيميائية ولو قليلاً؟ في مفهومه الدلالي، فلم لا نؤلف بين المناهج النقدية مادام هناك مشترك؟ أم هي السباقات المصطلحية؟

ويقسم:

- دلالة صريحة

- دلالة ضمنية

- دلالة نسقية

هـ - الجملة النوعية (الجملة الثقافية) يقول هنا: (إن الدلالة الصريحة تستند إلى الجملة النحوية والضمنية تنشأ عن الجملة الأدبية، وهو ما نسميه الجملة الثقافية نواة الجمل:

الجملة النحوية

الجملة الأدبية

الجملة الثقافية المتولدة عن الفعل النسقي في المضمّر

أليس هنا تناقض غريب على ما سبق من تعداد؟

والمؤلف المزدوج:

يقول هنا: كثير من الدراسات اكتفت بتغيير مجالها البحثي دون أن تتوسل لذلك بمنهج منضبط، فوقع في فخّ الأساق دون أن تدرك، مما يجعلنا نتخذ بين يدي عملنا هذا قواعد انضباطية منهجية نستعين بها على مراوغة مادة البحث وملاحقتها. وعلى هذا هناك مؤلفان اثنان ضمني ونموذجي وفعلي والآخر هو الثقافة ذاتها. والمؤلف المضمّر هو الثقافة.

نظن هنا أن أصل الفكرة هي المؤلف المضمّر وتكريسه الجمل المتشابهة المعنى والتي يحملها التأويل على عدة معان.

إذن ما يقرر الازدواجية ليس فقط المؤلف المضمّر بل تعدّد دلالات الجملة الواحدة أيضاً.

ويتبادر لدينا سؤال تلقائي، ربما هو ساذج في عقيدة النقاد الكبار لكنه ملح حين

تغرق الدراسة بهذا الكم الهائل من المصطلحات: أين النماذج التطبيقية لتوضيح كل فكرة ومصطلح؟

أليس هذا من أبسط حقوق الناقد غير المحترف؟ وحتى الناقد المحترف أيضاً؟ بل هو من أصول الأبحاث الأكاديمية.

رغم أن ناقدنا العزيز يفرد قسماً هاماً من الكتاب لوظيفة الأساق وما تبعها من مفاهيم، إلا أن تعريفاً مختزلاً للأساق أو النسق من وجهة نظره، كأن يكون بسيطاً غاب عن الطرح، فغاص القارئ في مصطلحات كثيرة منها: أن الأساق تختبئ وتتوسل بها القيم لعمل عملها الترويض.

في الصفحة 81: يتكلم عن وظيفة النقد الثقافي: تأتي وظيفته من كونه نظرية في نقد المستهلك: مؤكداً الهاء بالفتح.

ويقول في الصفحة 83: الشعر لم يزل مرتعناً لعيوب نسقية لا تجعله مهياً لأن يقود خطاب التحديث، وقد يكون هو العائق التحديثي.

ثم يقول في الصفحة 87: الشعر هو الخطاب الذي احتكر مشروع التحديث عندنا!!! أليس هذا تناقضاً؟ بكل الأحوال نحسب له أن النقد يشمل الجمال إلى جانب القبح سواء وأن هناك ضرورة لدراسة سبب سيادة عمل ما عن غيره، ولكنه نسي أن هناك أسباباً خارج النص مثل المحسوبة، أليس هذا سبباً آخر، يجب مراعاته خارج المثالية النقدية؟ (ص 85).

يقول الغدامي (في ص 97): الشعر علم العرب الذي ليس لهم علم سواه. هذا ما قاله عمر بن الخطاب رضي الله عنه. (العمدة 1/27)

وأثر عن الرسول ﷺ لأن يمتلئ جوف أحدكم قبحاً حتى يريه خير من أن يمتلئ شعراً.

وكما فعل ابن عباس الذي جعل الشعر أحد مصادر تفسير الآيات القرآنية. ويخلص بعد هذا العرض وغيره ناقدنا يقول: لقد صار الشعر هو المؤسسة الثقافية العربية وتمت شعرنة الذات العربية وشعرنة الخطاب العربي.

ومع أن الشعراء يقولون مالا يفعلون، فإن اللافاعلية هنا هي إحدى عيوب الخطاب؛ لأنها تسلب من اللغة قيمتها العملية.

وعليه فعلى الرغم من وجود صفات أخلاقية وجمالية راقية في الشعر، إلا أن فيه صفات أخرى لها من الضرر ما يجعل الشعر أحد مصادر الخلل النسقي في تكوين الذات وفي عيوب الشخصية الثقافية.

فهل هو هنا وضع حل للالتباس الذي وجدناه سابقاً؟

يقترح ابن المقفع نوعين من العقل: هما العقل الذاتي والعقل الصنيع، ويفرق بينهما عبر المقارنة بين الأرض الطيبة، والأرض الخراب. لكن الناقد يقول عن تلك المقولة أنها معزولة ومعلقة في الفراغ. فنحن لا نجد حولنا سوى العقل الصنيع!

فهل كفانا الأوائل المؤونة؟

ويقول ابن المقفع: إن الأوائل أكبر أجساماً وأرجح عقولاً. (ص 133 و 107).

ولعلّ أهم قسم في الكتاب عندما يقسم الشعر إلى أطوار وينسف قيمته التاريخية، بدءاً بالطور الأول طور الفحولة وذكر القبيلة والمفاخر، ثم الأنا وانتصار للنفس ثم الوصول للتملق والتكسب، بين مديح ينقلب رثاء ومديح يحوي هجاء. وهو برأي ناقدنا وشعراء ذلك الزمان إن لم ينبع من الترهيب والترغيب فليس بشعر؛ لأنه سينقلب رثاء ونسيباً لذا عد شعراء ذلك الزمان ذا الرمة بريع شاعر، ولعل استنكار المسلمين للهجاء تجسد أكثر ما تجسد بقول سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما اشترط لإخراج الحطيئة الهجاء أن يكف عن الهجاء المقذع فسأله عنه، فقال:

- أن تقول هؤلاء أفضل من هؤلاء وأشرف، وتبني شعراً على مدح لقوم وذم لمن يعاديهم. (ص 165).

وعلى هذا فإن ناقدنا الكبير يتقاطع معنا بمقولة: ليس هناك شاعر كبير بمعنى كبير؛ لأن كل شاعر له عورات شعرية. وقد اتهم ناقدنا المتنبي بالنسق الأتاني والقبلي كذلك. وعلى هذا فإن الشعر العربي يخلو من المنطق بناء عما ورد، فهو مشاعري خالص، وانطباعي تام... فهل تعد هذه عورة شعرية كبيرة؟ وتعريف الشعر من الشعور؟، أم لعورة في أنفسنا من أننا قوالون لا فعالون؟ نتساءل.

إنَّ أوَّلَ مَنْ قدم غرض المديح أبو تمام والمتنبي، ودخلوا نفق الكذب والمداينة وهنا يقول الناقد بصدق مزاعم ابن المقفع أن العقل الصنيع حل محل العقل الذاتي، ويقدم سمات النسق الأربع وهي:

- 1- الذات الممدوحة المندمجة مع الذات المادحة، وتوظيف كل الوسائل لنشر كل ما يتعلق بذلك لنصرة النفس.
 - 2- في النسق الشعري، لا ترى الذات غضاضة من التحدث عن ذاتها ونسبة الأمجاد إليها نسبة مجازية لا يشترط لها دليل غير دعوى الذات وتصديقها لما تقول عن نفسها.
 - 3- مفهوم الفحولة معنى هو أقرب إلى العنف والبطش، ومن لم يكن ذنبا تأكله الذئاب.
 - 4- الإمكان للمعارضة أو مخالفة الرأي، والآخر دائما قيمة ملغية.
 - 5- في النسق يجري تحويل القيم من قيم تنتسب للعمل والفعل، إلى قيم مجازية متعالية.
- ويقول أخيرا: الثقافة هي ما يربي الوجدان العام للأفراد ويمنحهم النسق الذهبي والسلوكي، وبما أن الشعر عندنا هو ديوان وجودنا الثقافي فقد صار النموذج النسقي المحتذى (ص 199).

لقد جرى في العصر العباسي عملية فرز ثقافي في عصر التدوين، بحيث انقسمت الثقافة ما بين: عربية- وفارسية يونانية، أي متن وهامش، ما بين ثقافة مؤسساتية ومهمشة، بحيث تجمعهما خصلة الاستبداد والفحولة والأنانية. وتفرقهما الأمكنة. وقد كان للجاحظ في كتاب البيان والتبيين محطة في تسخير قلمه للتندر بالعرب: كالسودان والنساء والبرصان والجواري... بحيث جعلها مادة للتسلية، ومتى كانت هذه مادة للتسلية؟ (ص 223)

حقائق مدهشة وإسقاطات غريبة تحتاج وقفة...

في أواخر الكتاب يقدم رؤيته لشعر نزار وأدونيس (علي أحمد سعيد) في أن نزاراً مستفحل وأدونيس مشروع تفحيل، وأنهما لعبا بالنسق ولم يخرجوا عن فحولة الأولين، لكن هذا لا ينفي أنه يمكن اتهامه لنزار بتعهير اللغة خاصة في ديوان طفولة نهد، ولعل وجهة نظر مفتش الدولة السابق السوري واصف الحكيم من أن أدونيس فيلسوف وليس شاعراً، ولعلنا نتبنى وجهة النظر هذه؛ لأن بعض شعره كان هذراً كشعر والفلسفة هو أقرب:

أتحول إلى طبيعة ثانية وتنزل بين فخذي النباتات
كل حجر حارس يسهر معي
وأدخل في أبعاد ترشح من شقوقها البخارات

هل مهمة القارئ فك جدائل النص المعقد؟؟
م هي هوية ناقد كبير؟ أم هي عضلاته النقدية؟ نتساءل.

خاتمة:

هناك مصطلح جديد يجب أن نفكر فيه، بعد أن اطلعت شخصيا على أهم كتب النقد، وهو أنه: ماذا بعد النقد؟.

ماذا سنفيد وهل سنشكل نقلة نوعية بعد النقد الموضوعي؟، أم هو نقد للنقد؟.

ملخص البحث:

النقد والأدب معا عبارة عن نشاط عقلي إبداعي، وفي بعض الحالات يغير النقد في الذوق والقيم والمعايير ويقود الأدب إلى صنع تغيير أيضا، فكثير من النظريات النقدية كانت مبنية على نتاج أدبي.

الناقد ينتمي إلى الأدب انتماء ضرورة، بينما ينتمي الأديب إلى النقد انتماء صدفة، فيشك لنواة نقد هو مذهبه وطريقته الخاصة، التي تشكل بصمته النقدية، ولعل الفكر العربي النقدي له سماته الخاصة التي تميزه عن غيره من أنواع النقد.

فلا ضير بعد هذه الجولة أن نتساءل: ماذا يعدّ النقد؟ هل هناك أرقى من هذا الجهد الإيجابي الذي يخرج الثمين للحضور والغث للأفول؟.

الهوامش:

- (1) المصدر الباحث اللغوي: <http://www.baheth.info/all.jsp?term>
 - (2) من كتاب قبل الانفجار للنقاد الكبير مارون عبود، ص 5.
 - (3) إن ما نقدمه عن النقد هو كفيته ونزاهته وكيف يكون مفيداً، وتطوره فيما بعد كأداء مجرد، وليس كاتجاه فكري كما بات لاحقاً مثلاً:
 - <http://www.omferas.com/vb/t51659>
 - (4) من كتاب فضاء التأويل ص 340.
 - (5) ينظر مجلة الموقف الأدبي العدد 492 دراسة: نحو مدرسة نقدية عربية في النقد الأدبي، الدكتور أحمد أستاذ جامعي في كلية الآداب بجامعة حلب.
 - (6) فضاء التأويل : ص 326.
 - (7) نفسه : ص 349.
 - (8) المعجم الأدبي للأستاذ جبور ص 282.
 - (9) من المرجع ذاته للدكتور ص 326.
 - (10) من دراسة بعنوان : قصيدة النثر والنقد المعاصر، للكاتب المذكور، كان هذا في مجلة المعلم العربي العدد 450-451 العام 2013.
 - (11) من تعاريف النقد ما قاله الأستاذ أحمد شاكر الكرمي: هو فن ذوقي جليل يهذب الآداب وينقيها، ويصلح ما فسد من أساليب القول وطرق التعبير. (ينظر لكتاب "نظرية النقد من البلاغة إلى النقد" للأستاذ محمد كامل الخطيب. ص 201 ونكاد نراه نموذجياً أمام التعاريف العديدة التي نقرأ.
 - (12) ينظر الدراسة ذاتها للدكتور المحبك ص 60.
 - (13) لقد حوله الغرب إلى علم كما ورد في دراسة الأستاذ فخري أبو السعود بعنوان: النقد في الأدبين العربي والإنكليزي " 1909-1940 من كتاب نظرية النقد من البلاغة إلى النقد" : قال: إن نزعة المحافظة كانت الغالبة على نقاد العربية، وقلّ منهم من دعا إلى التجديد وقد تمرد المتنبي على عمود القصيدة وتدرج أغراضه التي تبدأ بالنسيب:
- إذا كان شعرٌ فالنسيب المقدم أكلَ أديب قال شعراً متيمٌ؟
- لقد كانوا ينكرون على الأديب أن يحيد عن مناهج القدماء، فكتاب الوساطة للجرجاني جهد ضائع في تقصي المعاني وردّها لمواطنها الأولى من أشعار الأجيال السالفة، وتمزيق القصائد والحكم على الشعراء بالاختلاس.
- فنقاد العربية أكثر التفاتاً إلى الألفاظ منهم إلى المعاني، أما موقف جمهور الأدباء الإنكليز فقد ظلوا يعدون اللغة وسيلة لا غاية، للتعبير عن خوالج النفس، ولتفوق العربي البياني لم يهتموا كثيراً بالمعاني، وقد وضع فديردن أساس النثر الإنكليزي في كتابه "الوازه بين الشعر والتصوير" وجمع لام وتكري وركسن بين نقد الأديب ونقد التصوير أو النحت، ولا ريب أن تفقّه الناقد في تلك الفنون أكبر معاون له على حسن النظر في الأدب وصدق النقد له، لتشابه الفنون في وسائلها وغاياتها، وعليه فالنقاد الإنكليزي كان أكثر أهلية للنقد: ص 312-317.

(14) من كتاب "فضاءات التأويل" ص 327.

(15) ينظر كتاب "رحلة في جماليات رواية أمريكا اللاتينية" للدكتورة د. ماجدة حمودة، ص 90- بتصرف.

(16) ينظر لمجلة المعرفة العدد 594 موضوع لقاء حسني هلال مع الأديب والصحفي إسماعيل مروة.

(17) يراجع كتاب "نقد العقل العربي" لطارق حجي.

(18) بالإمكان توسيع مجال البحث عن النقد ورصده في سوريا بمراحله العامة من خلال كتاب: بدايات النقد

الأدبي الحديث في سوريا للدكتور سمر روي الفيصلي.

(19) يراجع الرابط التالي:

<http://www.omferas.com/vb/showthread.php?t=44639>

(20) عن سيرة الدكتور "جيلالي يوبكر" نورد الرابط حول ذلك:

<http://www.omferas.com/vb/showthread.php?t=43943>

(21) لتحميل الكتاب:

<http://www.al-mostafa.info/data/arabic/depot3/gap.php?file=i003638.pdf>